ـ أيها الإخوة الكرام، ألم تلاحظوا أنه ليس من جندي واحد في شوارع (دَبْ)؟

وأجاب «مالكوس»:

ـ لقد لاحظت ذلك بالفعل، بيد أني وجدت فيه دليلاً على أن هذه المدينة تعرف السلام والأمن.

ـ لقد أخفت وداعة روحك عنك الحقيقة المؤلمة. إن مدينتنا متروكة في الواقع لمصيرها، فقد رحلت الحامية كما رحل الوالي؛ وقد استدعى قبل رحيله زعماء جميع الطوائف ونقابات الحِرَف لنُصْحِهم بإظهار الخضوع لسادة البلد الجُدُد.

ـ وأين هم إذن هؤلاء السادة الجُدُد؟

ـ يقال إن جيشهم يُعسكر على مسيرة يوم من هنا، فوق تلال (طوران)، وأنه بقيادة أمير يافع هو «هرمز» حفيد «أردشير» ملك الملوك. ماذا في نيّته أن يفعل؟ متى يستولي على مدينتنا؟ لماذا لم يطالب هذا الأمير الساساني بعدُ باستسلامنا وعساكره قريبة جدّاً منّا؟ إن الله تعالى لم يحفل بعدُ بجلاء هذه الأسئلة لنا. ومن هنا هذا الهلع الذي يستحوذ علينا جميعاً، حتى أشدّنا إيماناً، حتى أكثرنا ثقة بحكمته. هل زرتم أسواق المدينة؟

أجاب «پاتيغ»:

ـ لا، فما إن وطأت إحدى قَدَمَيْنا رصيف الميناء حتى سلكت الأخرى طريق هذا المكان المقدَّس!

قال الكاهن بحميّة وقد هدأ روعه:

ـ ليبارك الله فيكم! وليملأ الربّ الأرض بأناس على شاكلتكم!

وذلك قبل أن يضيف «بر ـ توما»:

ـ لسوف تفهمون حين تتجوّلون في المدينة. لقد فرغت أماكن عرض البضائع واختفى الذهب والأقمشة الفاخرة والتوابل النادرة والأحجار الكريمة.